الأزمة الروسية الأوكرانية وانعكاساتها على القضية الفلسطينية

أ. سائد ابو عدوان

مركز الاستقلال للدراسات الاستراتيجية

تمهيد:

في ظل تصاعد الأزمة الروسية – الأوكرانية والتي وصلت لتوجيه ضربات عسكرية من قبل الطرفين، ومن المتوقع أن تشهد الأيام القادمة تطور في الأحداث لدرجة اقتحامات واجتياح وسقوط مدن بأيدي أطراف الصراع، هذه الأزمة تشكل نواه لحالة صراع بين قوى عظمى تسعى لفرض هيمنتها وإعادة بناء نظام عالمي جديد متعدد القطبية، تسعى من خلاله كل من روسيا والصين والولايات المتحدة إثبات وجودها وإبراز قدرتها ونفوذها في المنطقة.

وبناء على صراع النفوذ وتفاقم الأزمة الروسية الأكرانية، فإن منطقة الشرق الاوسط قد تتأثر بالأزمة، الأمر الذي يلقي بانعكاساته على القضية الأبرز في الشرق الأوسط وهي القضية الفلسطينية، من هنا يمكن القول بأن القضية الفلسطينية سوف تواجه العديد من التحديات والانعكاسات للأزمة الروسية الأوكرانية، أبرزها استغلال الكيان الإسرائيلي للأزمة الراهنة باستقبال لاجئين يهود من اوكرانيا لدولة الاحتلال، الأمر الذي يعيد للأذهان بداية تأسيس دولة الاحتلال حينما جاءت أول الهجرات اليهودية من روسيا ودول اوروبا الشرقية، وشكلت النواه الأولى لتأسيس العصابات الصهيونية التي استولت على فلسطين، أما التحدي الثاني فيتمثل في تنامي قوى دولية مناهضة لسياسات الولايات المتحدة المنحازة لدولة الاحتلال، وهذا يعني أن العنجهية الأمريكية في التعامل مع القضية الفلسطينية قد تواجهها دول قوى جديدة تعيد رسم ميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط بعيداً عن الغطرسة الأمريكية وانحيازها الواضح لدولة الاحتلال، وتم ملاحظة ذلك من خلال تصريحات مسؤولين روس بأنه لا اعتراف بسيادة دولة الاحتلال على هضبة الجولان، مع العلم بأن الترشيحات تفيد بأن يكون هنالك موقف روسي مناهض لسياسة دولة الاحتلال في فلسطين في ظل وقوف دولة الاحتلال إلى جانب حليفتها الولايات المتحدة في دعم أوكرانيا.

أما التحدي الثالث فيتمثل في ضعف الموقف الإسرائيلي في مواجهة سوريا وإيران، في ظل وقوف دولة الاحتلال إلى جانب حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية مع اوكرانيا فإن ذلك يعني أنها في موقف معادلي للتحالف الروسي الإيراني السوري، وبهذا فإن أي ردة فعل من دولة الاحتلال تجاه هذه البلدان سوف يكون هنالك ردة فعل مدعومه من النظام الروسي الذي يعمل على ترسيخ نفوذه في المنطقة، كما أن النقطة الأهم في هذا التحدي تتمثل في ظل انشغال العالم بالأزمة الروسية الأكرانية فإن دولة الاحتلال تخشى من عدم اهتمام الدول الغربية بالسلاح النووي الايراني وتراجع الاهتمام بهذه القضية، الامر الذي سوف تستغله ايران في عملية تسريع تخصيب اليورانيوم للحصول على سلاح نووي، وهو ما تخشاه دولة الاحتلال، مما يعني قيام دولة الاحتلال بتوجيه ضربات لايران، وهذا يعني تزايد احتمالية قيام حرب اسرائيلية إيرانية، بحيث تكون ساحة الواجهة الأراضي الفلسطينية ومحيطها الجغرافي، من خلال قيام الأذرع العسكرية التابعة لإيران في المنطقة بالرد على أي استهداف لإيران مثل حركة حماس في قطاع غزة، وحزب الله في جنوب لبنان، والحوثيين في اليمن وغيرها من الفصائل في المنطقة.

وفيما يتعلق بالتحدي الرابع والأخير فيتمثل في البعد الاقتصادي، إذ أن القضية الفلسطينية منذ فترة طويلة وهي رهن المساعدات الدولية التي تقدم من خلال المؤسسات الدولية التي تعنى بشؤون اللاجئين وغيرها من الحقوق الخاصة بالشعب الفلسطيني، حيث أن الأزمة الراهنة سوف تلقي بظلالها على المساعدات الدولية من كافة دول العالم تجاه القضية الفلسطينية، اضافة إلى أن كل من روسيا وأكرانيا ذات تأثير اقتصادي من خلال الصادرات الهامه لهاتين البلدين على صعيد المنتجات الغذائية وأبرزها القمح.

من هنا جاءت هذه الورقة للبحث في الأزمة الروسية الأوكرانية وانعكاساتها على القضية الفلسطينية.

أولاً: **اللاجئين اليهود من اوكرانيا لدولة الاحتلال**

في ظل تصاعد الأزمة الروسية الأوكرانية ووصولها لإسقاط مدن واحتلالها وبداية عمليات النزوح من هذه الأراضي فإن ذلك سيترتب عليه لاجئين من بلدانهم لمناطق أخرى، وهذا الأمر دفع دولة الاحتلال لتبني فكرة استقبال لاجئين يهود من هذه البلدان واستقبلالهم، والتاريخ يقدم شواهد على ذلك، إذ أن غالبية الأزمات التي شهدتها الدول الأوروبية في نهاية القرن التاسع عشر أثرت بشكل مباشر على القضية الفلسطينية، فالمهاجرون اليهود الأوائل جاءوا من روسيا نتيجة الاضطهاد والمذابح التي لحقت بهم هناك، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من اتفاقية سايكس – بيكو،

وهي الاتفاقية التي تقاسمت خلالها كل من بريطانيا وفرنسا الوطن العربي، بالإضافة إلى تصريح بلفور، وهو التصريح الذي تعهدت من خلاله بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وأخيرا هجرة مئات آلاف اليهود نتيجة الاضطهاد والمحرقة النازية قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية، مما أدى إلى إنشاء دولة الاحتلال وتهجير سكانها الأصليين.

وفي ظل هذه الأزمة نلاحظ اليوم من خلال التصريحات الصادرة عن قيادة دولة الاحتلال أن هنالك تحضيرات لاستقبال عشرات آلاف اليهود من أوكرانيا، وفي حال توسعت الحرب فإن حملات الهجرة اليهودية ستشمل دولاً تجاه الأراضي المحتلة.[1]

ثانياً: تنامي قوى دولية مناهضة لسياسات الولايات المتحدة المنحازة للكيان الإسرائيلي

تشكل الأزمة الراهنة ما بين روسيا واوكرانيا نواة تغيير في ميزان القوى على الصعيد العالمي في ظل بروز تيارات دولية مناهضة للولايات المتحدة الامريكية، وتتمثل في بروز كل من الصين وروسيا ولعل هذه الأزمة تعلن عن ولادة نظام عالمي جديد متعدد القطبية يلغي النظام القائم أحادي القطبية، إذ أن هذه الأزمة تعبر عن مدى الاستعداد الروسي لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي يعكس بظلاله على مستقبل القرارات الدولية بشكل عام و بالقضية الفلسطينية على وجه التحديد والتي كانت في غالب الأحيان منحازه لصالح دولة الاحتلال.[2]

على الصعيد الدولي يمكن القول بأن هنالك تغيير في ميزان القوى قد يضع حداً لدرجة ما لغطرسة وعنجهية السياسات الأمريكية المنحازة لدولة الاحتلال، وبناء عليه سيترتب وضع عالمي جديد تكون في القوى الحديثة على رأسهم روسيا والصين قادرة على خلق حالة توازن في القرارات الدولية خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، وبالرجوع للتاريخ فإن الأزمات التي تندلع في الدول الأوروبية تطغى وتلفت الانتباه عما يدور في الشرق الأوسط من صراع ونزاع وأزمات وفي مقدمتها الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، نظراً لكون الصراع ما بين روسيا واوكرانيا قد يتفاقم ليصبح حرب عالمية.

---

[1] باسم برهوم: انعكاس الأزمة الاوكرانية على القضية الفلسطينية، جريدة الحياة الجديدة، بتاريخ 13-2-2022 الرابط الإلكتروني https://www.alhaya.ps/ar/Article/129762/%D8%A7

[2] قسم الشؤون الإسرائيلية في الميادين، الأزمة في اوكرانيا تزيد من القلق الإسرائيلي، بتاريخ 12-2-2022 الرابط الالكتروني https://www.almayadeen.net/news/politics/%D8%A5

ثالثاً: ضعف الموقف الإسرائيلي في مواجهتها لسوريا وإيران – تزايد فرص حرب اسرائيلية ايرانية

الأزمة الراهنة ما بين روسيا وأوكرانيا ستلقي بظلالها على الموقف الإسرائيلي بشكل سلبي وسيضعف موقفها، إذ أن الموقف الإسرائيلي من الأزمة كان واضحاً بوقوفها إلى جانب حليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة إلى جانب أوكرانيا، هذا الموقف من دولة الاحتلال سيضعفها في مواجهتها لكل من سوريا وإيران، كون هنالك تقارب ما بين روسيا من جهة وسوريا وإيران من جهة ثانية، هذا الأمر سيجعل دولة الاحتلال في مأزق أمني وتخوف من تراجع الاهتمام العالمي والدولي في قضية السلاح النووي الإيراني، وهذا ما عبرت عنه القيادة الأمنية في كيان الاحتلال في التقارير الصادرة عن المؤسسة الأمنية، "هنالك قلق في المؤسسة الأمنية للاحتلال الإسرائيلي من تغيير ممكن في السياسة الروسية في الشرق الأوسط، وعن أن تأثيراً دراماتيكياً للنزاع الروسي – الأميركي من شأنه أن يتجسّد بكل ما يتّصل بالمصالح الإسرائيلية أمام إيران، ذلك بأنه إذا كانوا في "إسرائيل" يشعرون بخيبة الأمل اليوم إزاء الأجندة المتدنية نسبياً، والتي تقدمها الإدارة الأميركية بشأن القضية الإيرانية ومواضيع أُخرى في الشرق الأوسط، فإن أي تعقيد إضافي في المشهد في أوكرانيا، من المتوقّع أن يفاقم هذا الاتجاه، ويُبعد المسألة الإيرانية إلى مكان بعيد جداً، وهو ما يثق المسؤولون الإسرائيليون بأن الإيرانيين سيستغلّونه لمصلحتهم".[3]

كما وتتوقع المؤسسة الأمنية لكيان الاحتلال أن تؤدي الأزمة بين موسكو وواشنطن، على المستوى الاستراتيجي، إلى تراجع إضافي في الاهتمام الذي توليه الولايات المتحدة الأميركية لتحديات الشرق الأوسط. بناءً عليه، فإن أي مساس جديد بهيبة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وأي تراجع في حضورها وتأثيرها، يشكلان ضربه لكيان الاحتلال ومن شأن هذا الواقع الجديد أن ينعكس سلباً على استقرار المنطقة، وعلى المساعي المبذولة لكبح المشروع النووي الإيراني زتمددها في منطقة الشرق الأوسط، كما ستكون له تبعات سلبية على استقرار المنطقة.

---

[3] وديع عواوده: معهد اسرائيلي يرسم توقعاته حول تداعيات الأزمة في اوكرانيا على الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، جريدة القدس العربي، بتاريخ 18-2-2022، الرابط الالكتروني https://www.alquds.co.uk/%D9%85%D8%

الخاتمة:

بعد تحديد انعكاسات الأزمة الروسية – الأوكرانية على القضية الفلسطينية يبقى التساؤل الرئيس يتمثل في كيفية مواجهة تداعيات الأزمة على القضية الفلسطينية؟

هذا التساؤل يبقى رهن إجابة واحدة مفادها ضرورة الوحدة الوطنية وإنهاء حالة الانقسام الذي يعيشها شطري الوطن بتسليم حركة حماس قطاع غزة للسلطة الشرعية، ومن ثم البحث عن حلول لمفهوم الشرعية كإجراء انتخابات في كافة فلسطين بضفتها وقطاعها وقدسها، حيث أن أي تهديد قادم ومحتمل لن يستثني أحداً من أبناء الشعب الفلسطيني بمختلف مكوناته.

كما أن تجربتنا التاريخية قدمت لنا دروساً حول الحركة الصهيونية ومدى قدرتها على الاستفادة من الأزمات الدولية لصالحها، حيث أن الصهيونية العالمية قادرة على الاستفادة من الأزمات الدولية لتحقيق مصالحا، ودولة الاحتلال والصهيونية اليوم على أهبة الاستعداد للعب أدوار أكبر في الأزمات، كما أن هذا الكيان أصبح من أكثر الدول تطورا في تكنولوجيا التجسس، وحتى العسكرية بشكل عام. هذا الواقع يفرض علينا أن نغير من قواعد عملنا وأن يكون هدفنا ترسيخ الوحدة الوطنية والعمل على إعادة رسم سياستها الخارجية بعقد تحالفات جديدة خاصة مع الدول التي تواجه الولايات المتحدة الأمريكية، نسعى من خلال هذه التحالفات من خلق حالة توازن لمجابهة القرارات الدولية المنحازة للكيان الاحتلالي.